

يا عمال العالم، اتحدوا!

طريق البلشفية



سؤالين

حديث مع طالبة جامعة صن يات صن

موسكو، 13 أيار 1927

ترجمة

محمد علي العربي

نشر في النشر البلشفي العربي

نونس، تموز 2012

المصدر المعتمد في الترجمة:

TALK WITH STUDENTS OF THE SUN YAT-SEN UNIVERSITY

J. Stalin: Works, Vol. 9, p. 243-273

Foreign Languages Publishing House

Moscow, 1954

أيها الرفاق، للأسف، لا أستطيع أن أخصّص إلا اثنتين أو ثلاث ساعات لنقاش اليوم. ورتباً، في المرة القادمة، نقوم بترتيب أطول محادثة. اليوم، في اعتقادي، قد تقتصر على دراسة الأسئلة التي كانت قد قدّمت للكتابة. لقد حصلت على عشرة أسئلة في كلّ شيء. سأجيب عليها في نقاش اليوم. إن كانت هناك أسئلة إضافية، وقيل لي هناك، سأحاول أن أجيب عنها في حديثنا المقبل. حسناً. دعونا ننكب على العمل.

السؤال 1

«لماذا يخطئ راديك عندما يؤكد أن نضال الفلاحين في الريف الصيني موجه ضد بقايا الإقطاع أكثر بكثير مما هو موجه ضد البرجوازية؟
ما الذي يمكن تأكيد سيادته في الصين: الرأسمالية التجارية أم بقايا الإقطاع؟
لماذا يمثل العسكريون الصينيون الإقطاع وفي ذات الوقت هم أصحاب مؤسسات صناعية كبرى؟»

في الواقع، لا يؤكد راديك شيئاً من قبيل ما ورد في هذا السؤال. ما أتذكره هو أن ما قاله في كلمته أمام نشطاء منظمة موسكو، إما ينفى تماماً وجود بقايا الإقطاع في الريف الصيني، أو لا يوليها أهمية كبيرة.
بالطبع، هذا خطأ فادح عند راديك.

فلو لم تكن هناك بقايا إقطاعية في الصين، أو لم تكن ذات أهمية كبيرة جداً بالنسبة للريف الصيني، لما كانت هناك أرضية لقيام الثورة الزراعية، ولما كانت هناك حاجة للحديث عن الثورة الزراعية من جهة أنها إحدى أهم مهمات الحزب الشيوعي في المرحلة الراهنة من الثورة الصينية.

هل يوجد رأس مال تجاري في الريف الصيني؟

نعم، موجود. وليس موجوداً فحسب، بل يمتص دم الفلاحين بقدر لا يقل عما يقوم به السيد الإقطاعي. لكن رأس المال التجاري هذا، وهو من النوع بدائي التراكم، يمتزج على نحو غير طبيعي، في الريف الصيني، بهيمة السيد الإقطاعي والمالك العقاري، ويعتمد أساليب هذين الأخيرين، أساليب القرون الوسطى، في استغلال الفلاحين واضطهادهم. ذلك هو بيت القصيد، أيها الزفاق.

خطأ راديك هو أنه لم يستوعب هذه الخاصية، هذا المزيج من هيمنة بقايا الإقطاع ووجود رأس المال التجاري في الريف الصيني، إلى جانب الحفاظ على الأساليب الإقطاعية من القرون الوسطى في استغلال الفلاحين واضطهادهم.

تشكل العسكرية والتوشان وكل أنواع الحكام وكامل البيروقراطية الحالية القاسية والحشعة، عسكرية وغير عسكرية، بنية فوقية لهذه الخاصية المميزة في الصين.

تدعم الإمبريالية كامل هذه الآلة البيروقراطية الإقطاعية وتعززها. فواقع أنّ بعض العسكريين مالكي العقارات هم في ذات الوقت أصحاب مؤسسات صناعية لا يغير شيئاً في الأمر. لقد كان الكثير من المالكين العقاريين الروس، أيضاً، يملكون في ذات الوقت معامل ومؤسسات صناعية أخرى ولم يمنعهم ذلك من أن يكونوا ممثلي بقايا الإقطاع.

إذا كان، في عدد من المناطق، 70 في المائة من أرباح الفلاحين ينتقل إلى التبلاء والمالكين العقاريين، وإذا كان المالك العقاري يملك حالياً سلطة في الاقتصاد والإدارة والقضاء، وإذا كان شراء النساء والأطفال ويبيعهم لا يزال يمارس في عدد من الأقاليم، وجب علينا أن نعترف بأن السلطة المهيمنة في هذه الحالة هي سلطة بقايا الإقطاع، سلطة المالكين العقاريين، والبيروقراطية عسكرية وغير عسكرية، من خلال مزج خاص بسلطة رأس المال التجاري.

إنها هذه الشروط الخصوصية هي التي تخلق أرضية حركة الفلاحين الزراعية في الصين، تلك الحركة التي لا تنفك تتطور، وستعظم. في حال غياب هذه الشروط، في حال عدم وجود بقايا الإقطاع والقمع الإقطاعي، لن يكون هنالك حديث عن الثورة الزراعية في الصين وعن مصادرة أراضي المالكين العقاريين، وما إلى ذلك. في حال غياب هذه الشروط لن تكون الثورة الزراعية في الصين أمراً مفهوماً.

السؤال 2 «ماذا يخطئ راديك عندما يؤكد أنه لما كان الماركسيون لا يعترفون بإمكانية قيام حزب على أساس طبقات مختلفة، فإنّ الكيومينتانغ هو حزب برجوازي صغير؟»

يستدعي هذا السؤال بعض الملاحظات.

أولاً. تطرح هذه القضية على نحو غير صحيح. نحن لم نقل أبداً، وما من أحد قال، أنّ الكيومينتانغ حزب طبقات مختلفة. هذا ليس صحيحاً. لقد قلنا دائماً أنّ الكيومينتانغ حزب تكامل طبقات مضطهدة مختلفة. ليس الأمران نفس الشيء، أيها الرفاق. فإذا كان الكيومينتانغ حزب طبقات مختلفة، فالأ يعنى ذلك أنّ ولا واحدة

من الطبقات المرتبطة بالكيومينتانغ سيكون لها حزبا الخاص خارج الكيومينتانغ، وأن الكيومينتانغ نفسه سيكون حزبا وحيدا ومشاركا بين جميع تلك الطبقات؟ لكن ما هو الوضع في الواقع؟

أليس للطبقة العاملة الصينية المرتبطة بالكيومينتانغ، حزبا المستقل الخاص بها: الحزب الشيوعي؛ الذي يمايز عن الكيومينتانغ وله برنامجه الخاص به ومنظّمته الخاصة به؟ فمن الواضح أنّ الكيومينتانغ ليس حزبا طبقات مضطهدة مختلفة، وإنما هو حزب تكتل طبقات مضطهدة لها ما يقابلها من منظمات حزبية خاصة. وبالتالي، تطرح هذه القضية على نحو غير صحيح. في الواقع، في الوقت الحالي في الصين، يمكن النظر إلى الكيومينتانغ فقط على أنّه حزب تكتل طبقات مضطهدة.

ثانيا. ليس صحيحا أن الماركسيّة لا تعترف، من جهة المبدأ، بإمكانية قيام حزب تكتل طبقات مضطهدة وثورية، وأنّه لا يجوز من جهة المبدأ أن ينخرط الماركسيون في حزب من هذا القبيل. أيها الرفاق، هذا غير صحيح مطلقا. في الواقع، لا فقط تعترف الماركسيّة (وستواصل الاعتراف) بجواز، من جهة المبدأ، بأن ينخرط الماركسيون في حزب من ذاك القبيل، بل وضعت ذلك المبدأ موضع التطبيق العملي في ظروف تاريخيّة محدّدة. وأود أن أشير إلى مثال ماركس نفسه عام 1848، زمن الثورة الألمانيّة، عندما انضمّ هو وأنصاره إلى الرابطة الديمقراطيّة البرجوازيّة في ألمانيا وتعاون فيها مع ممثلي البرجوازيّة الثوريّة. ومن المعروف أن هذه الرابطة البرجوازيّة الديمقراطيّة، هذا الحزب البرجوازي الثوري، كان قد ضمّ، إلى جانب الماركسيين، ممثلين عن البرجوازيّة الثوريّة. وكان ماركس، آنذاك، رئيس تحرير المجلّة الريناتيّة الجديدة لسان حال الرابطة الديمقراطيّة البرجوازيّة. فقط في ربيع 1849، عندما بدأت تتراجع الموجة الثوريّة في ألمانيا، استقال ماركس وأنصاره من الرابطة البرجوازيّة الديمقراطيّة، بعد أن قرّر تأليف منظمّة للطبقة العاملة مستقلة تماما ولها سياسة طبقية مستقلة.

كما ترون، لقد ذهب ماركس إلى أبعد مما ذهب إليه الشيوعيون الصينيون في أيامنا هذه، الذين يشكلون جزءا من حزب الكيومينتانغ كحزب عمالي مستقل له منظمته الخاصة على وجه التحديد.

قد يجادل البعض في ما إذا كان من الأنسب لماركس وأنصاره الانضمام إلى الرابطة البرجوازية الديمقراطية في ألمانيا عام 1848، حين كان الأمر يتعلق بخوض النضال الثوري ضد الأوتوقراطية بالاشتراك مع البرجوازية الثورية. هذا قضية تقنية. لكن الأمر الذي لا شك فيه هو أنّ ماركس كان قد أقر من الناحية المبدئية بجواز مثل ذلك الانضمام.

ثالثا. سيكون من غير الصحيح في الأساس القول بأن حزب الكيومينتانغ في ووهان هو حزب برجوازي صغير والوقوف عند هذا الحد. فلا يمكن أن يصف الكيومينتانغ على هذا النحو إلا أشخاص لم يفهموا لا الإمبريالية في الصين ولا طابع الثورة الصينية. فليس الكيومينتانغ حزبا برجوازيا صغيرا «عاديا». وهناك أنواع مختلفة من الأحزاب البرجوازية الصغيرة. لقد كان المناشفة والاشتراكيون الثوريون في روسيا حزبان برجوازيان صغيران أيضا لكنهما كانا، في ذات الوقت، حزبان إمبرياليان، لأنهما كانا في تحالف حربي مع الإمبرياليين الفرنسيين والبريطانيين، وينخرطان إلى جانبهم في **غزو واضطهاد** بلدان أخرى مثل تركيا وبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين وغاليسيا.

هل يمكننا أن نقول أنّ الكيومينتانغ هو حزب إمبريالي؟ بالطبع لا، فحزب الكيومينتانغ معادي للإمبريالية تماما مثلما هي الثورة في الصين معادية للإمبريالية. والاختلاف هنا أساسي. فأي شخص لا يقف على هذا الاختلاف ويخلط بين الكيومينتانغ المعادي للإمبريالية وبين الأحزاب الإمبريالية من قبيل الاشتراكيين الثوريين والمناشفة إنّما هو شخص لا يمتلك أي فهم للحركة الوطنية الثورية في الصين.

وبطبيعة الحال، لو كان الكيومينتانغ حزبا برجوازيا صغيرا إمبرياليا، لما أُلّف الشيوعيون الصينيون تكتلا معه، ولكنا قد حاربوه. فحقيقة الأمر أنّ الكيومينتانغ

حزب معادي للإمبريالية يخوض نضالاً ثورياً ضد الإمبرياليين وعملائهم في الصين. وعلى هذا الصعيد، يقف حزب الكيومينتانغ في منزلة أعلى من منزلة كل «الاشتراكيين» الإمبرياليين من رهط كيرنسي وتسيريتيلي.

فحتى تشانغ كاي-تشيك، وهو يمين الكيومينتانغ، والذي قبل أن يتخذ انقلابه ويشارك في مختلف المكائد ضد يسار الكيومينتانغ والشيوعيين، وحتى ذلك الحين، كان يفوق كيرنسي وتسيريتيلي؛ ففي حين كان كيرنسي وتسيريتيلي يجاربان من أجل استعباد تركيا وبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين وغاليسيا، مما يساعد على تقوية الإمبريالية، كان تشانغ كاي-تشيك يناضل، سواء كان جيداً أو سيئاً، ضد استعباد الصين مما كان يساعد على إضعاف الإمبريالية.

خطأ راديك، والمعارضة عموماً، هو أنه يتجاهل طابع الصين شبه المستعمر، ولا يراعي طابع الثورة الصينية المعادي للإمبريالية، ولا يرى في كيومينتانغ ووهان من دون يمين الكيومينتانغ مركز نضال الجماهير الكادحة الصينية ضد الإمبريالية.

السؤال 3 «أليس هناك تناقض بين تقديركم للكيومينتانغ (خطابكم في اجتماع طلبة الجامعة الشيوعية لشغبلة الشرق، 18 أيار 1925¹) كنتكثل قوتين الحزب الشيوعي والبرجوازية الصغيرة- والتقدير المتضمن في قرار² الأمانة الشيوعية في الكيومينتانغ كنتكثل أربع طبقات، بما فيها البرجوازية الكبيرة؟

¹ أنظر: ستالين: المهات السياسية للجامعة الشيوعية لشغبلة الشرق، ترجمتنا، منشور في موقعنا: طريق البلشفية.

² أنظر نص القرار في: الأمانة الشيوعية والثورة الصينية - أهم القرارات، ترجمتنا، منشور في موقعنا: طريق البلشفية.

هل يمكن للحزب الشيوعي الصيني أن يظلّ في الكيومينتانغ إذا ما قامت
دكتاتورية الطبقة العاليتة في الصين؟»

في المقام الأول، يجب أن أشير إلى أنّ تحديد الوضع الحالي داخل الكيومينتانغ الذي
قدّمته الأمانة الشيوعية في كانون الأول 1926 (الاجتماع السابع الموسع) قد ورد
على نحو غير صحيح في «سؤالك» فلم يكن على نحو دقيق جدًا. فـ«سؤالك» يقول:
«بما فيها البرجوازية الكبيرة». لكنّ الكمراذوريون هم أيضا برجوازية كبيرة. فهل يعني
هذا أنّ الأمانة الشيوعية تعتبر، في كانون الأول عام 1926، البرجوازية الكمراذورية
عضوا في التكتل داخل الكيومينتانغ؟ من الواضح أن لا. ذلك أنّ البرجوازية
الكمراذورية كانت، ولا تزال، العدو اللدود للكيومينتانغ. ولا يتحدّث قرار الأمانة
الشيوعية عن البرجوازية الكبيرة بشكل عام، ولكن عن «جزء من البرجوازية
الرأسمالية». وبالتالي، فما يشار إليه هنا ليس أي نوع من البرجوازية الكبيرة، وإنّما
برجوازية وطنية من النوع غير الكمراذوري.

في المقام الثاني، يجب أن أقول أنّي لا أرى أي تناقض بين هذين التحديدين
للكيومينتانغ. ولا أرى أيّ من ذلك لأنّ ما لدينا هنا هو تحديد للكيومينتانغ من
وجهتي نظر مختلفتين، فما من واحد منها يمكننا أن نقول عنه أنّه غير صحيح؛
فكلاهما صحيحان.

عندما تحدّثت عام 1925 عن الكيومينتانغ من جهة أنّه حزب تكتل العمال
والفلاحين، لم أكن أرمي إلى وصف الوضع الحالي في الكيومينتانغ، وإلى وصف
الطبقات المرتبطة فعلا بالكيومينتانغ عام 1925. فعندما تحدّثت عن الكيومينتانغ
حينئذ كتبت أفكر فيه فقط من جهة أنّه نوع من جهاز حزب ثوري شعبي مميّز في
بلدان الشرق المضطّهدة، خصوصا في بلدان من قبيل الصين والهند؛ من جهة أنّه
نوع الجهاز من قبيل الحزب الثوري الشعبي الذي يجب أن يتركز على تكتل ثوري
لعمال والبرجوازية الصغيرة في المدينة والريف. ولقد ذكرت بوضوح حينئذ أنّه «يجب
على الشيوعيين في مثل تلك البلدان أن يمّروا من سياسة الجبهة الوطنية المتحدة

إلى سياسة التكتل الثوري للعمال والبرجوازية الصغيرة» (أنظر: «المهات السياسية للجامعة الشيوعية لشعوب الشرق» في: ستالين: قضايا اللينينية، ص 264).

وبالتالي، فما كان يدور في ذهني لم يكن الحاضر، وإنما مستقبل الأحزاب الثورية الشعبية بوجه عام، والكيومينتانغ بوجه خاص. وكنتُ على صواب تام في ذلك. لا يمكن لمنظمات من قبيل الكيومينتانغ أن يكون لها مستقبل إلا إذا سعت إلى بناء نفسها على تكتل العمال والبرجوازية الصغيرة، وعند الحديث عن البرجوازية الصغيرة يجب أن يذهب تفكيرنا أساساً إلى الفلاحين الذي يألّفون القوة الأساسية للبرجوازية الصغيرة في البلدان المتخلفة من التاحية الرأسمالية.

كما اهتمت الأمية الشيوعية بنواحي مختلفة من هذه القضية. ففي اجتماعها السابع الموسع قدرت الكيومينتانغ لا من جهة مستقبله وما يجب أن يكون عليه، وإنما من جهة ما هو عليه في الوقت الحاضر، في الوضع الحالي داخل الكيومينتانغ، و فقط من جهة ما هي الطبقات المرتبطة به فعلاً عام 1926. ولقد كانت الأمية الشيوعية على صواب تام عندما أعلنت أنه، في ذلك الوقت، وطالما لم يحدث بعدُ انقسام في الكيومينتانغ، فإنه يؤلّف في الواقع تكتل العمال والبرجوازية الصغيرة (الحضرية والزيفية) والبرجوازية الوطنية. يمكننا أن نضيف هنا أنّ الكيومينتانغ كان قد استند على تكتل تلك الطبقات لا في عام 1926، وإنما في عام 1925.

إنّ قرار الأمية الشيوعية، الذي ساهم في صياغته مساهمة كبيرة، ينص بوضوح على أنّ «تؤلّف الطبقة العاملة تكتلاً مع الفلاحين. وهي تتدخل بنشاط في التّصال لمصلحتها الخاصة إلى جانب البرجوازية الصغيرة الحضرية وقسم من البرجوازية الرأسمالية». وأنّ «هذا المزيج من القوّات قد أوجد تعبير سياسياً عنه في ما يقابله من تجمع داخل الكيومينتانغ وحكومة كاتون».

لكن بقدر ما لم تقتصر الأمية الشيوعية على الوضع الحالي عام 1926، فقد تطرقت أيضاً إلى مستقبل الكيومينتانغ. فلا يمكن لذلك التكتل إلا أن يكون مؤقتاً. ومحكوم عليه، في المستقبل القريب، بأن يحلّ محله تكتل الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة. ولهذا السبب بالضبط يمضي قرار الأمية الشيوعية إلى القول بأنّ «الحركة في

الوقت الحالي على عتبة مرحلة ثالثة، وذلك عشية إعادة تجميع القوى جديد»، وأته «في هذه المرحلة من التطور فإن القوة الأساسية للحركة هي تكتل ذو طابع أكثر ثورية؛ تكتل الطبقة العمالية والفلاحين والبرجوازية الصغيرة الحضرية، والإطاحة بالقسم الأعظم من البرجوازية الرأسمالية الكبيرة». (المرجع نفسه)

ذلك هو، على وجه التحديد، تكتل العمال والبرجوازية الصغيرة (الفلاحين) الذي يقوم عليه الكيومينتانغ والذي يجب أن يستند عليه، والذي بدأ بالفعل في التبلور في ووهان بعد انقسام الكيومينتانغ وخيانة البرجوازية الوطنية، وذلك ما كنت قد تحدثت عنه في خطابي في الجامعة الشيوعية لشعبة الشرق عام 1925. (أنظر أعلاه)

وبالتالي لدينا تحديان للكيومينتانغ من ناحيتين مختلفتين:

(أ) من ناحية سمات حاضره، من ناحية الوضع الجاري داخل الكيومينتانغ عام 1926؛
(ب) من ناحية سمات مستقبله، من ناحية ما يجب أن يكون عليه الكيومينتانغ، كوع من الجهاز للحزب الثوري الشعبي في بلدان الشرق.
كلا التحديان مشروعان وصحيحان، لأنهما يتناولان الكيومينتانغ من ناحيتين مختلفتين، ويقدمان، في آخر التحليل لوحة شاملة.

ولسائل أن يسأل أمن تناقض هنا؟

دعونا، من أجل مزيد من الوضوح، نتناول «حزب العمال» في بريطانيا («حزب العمل»). نحن نعلم أن هناك في بريطانيا حزب خاص للعمال يستند على النقابات العمالية في المصانع وعمال المكاتب. لا تردّد في تسميه بالحزب العمالي. وهو يسمى هكذا لا في بريطانيا فحسب وإنما أيضا في كلّ الأدبيات الماركسيّة الأخرى.

لكن هل يمكننا أن نقول أن ذلك الحزب هو حزب العمال حقًا، حزب طبقي للعمال، ويعارض البرجوازية؟ هل يمكننا أن نقول أنه حاليًا حزب طبقة واحدة؛ الطبقة العمالية، وليس حزب طبقتين؟ كلاً، إنه ليس كذلك. حاليًا، حزب العمل في بريطانيا هو حزب تكتل العمال والبرجوازية الصغيرة الحضرية؛ إنه حاليًا حزب تكتل طبقتين. وإذا ما تساءلنا أيهما أقوى فوذا في هذا الحزب، هل هم العمال الذين

يعارضون البرجوازية أم البرجوازية الصغيرة، فلا بدّ من القول بأن نفوذ البرجوازية الصغيرة هو المهيمن في هذا الحزب.

وذلك ما يفسر لماذا حزب العمال البريطاني هو **حاليًا** بمثابة ذراع الحزب الليبرالي البرجوازي.

ولا تزال الأدبيات الماركسيّة تسمّيّه **حزب العمال**.

كيف نفسّر هذا «التناقض»؟ تفسير ذلك هو أنه عندما يتمّ تحديد هذا الحزب على أنّه حزب العمال، فإنّ ما يقصد عادة ليس الوضع **الحالي** داخل الحزب، وإنّما **نوع** تركيبة حزب العمال الذي يجب أن يكون عليه في **المستقبل**؛ بفضل توقّر شروط معيّنة، يصبح حزبا للعمال حقًا، ويقف في وجه العالم البرجوازي. هذا لا يمنع، بل على العكس، يفترض أن هذا الحزب هو في الواقع، **حاليًا**، حزب تكثّل العمال والبرجوازية الصغيرة الحضريّة.

ما من تناقض في ما قلته للتو في الكيومينتانغ.

هل سيكون من الممكن للحزب الشيوعي الصيني البقاء في الكيومينتانغ إذا ما قامت دكتاتورية الطبقة العالّية في الصين؟

وأعتقد أنّ ذلك سيكون غير مناسب، وبالتالي مستحيلًا. سيكون ذلك غير مناسب، ليس فقط إذا ما قامت دكتاتورية الطبقة العالّية، ولكن أيضًا إذا ما تمّ تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين. ماذا يعني تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين في الصين؟ إنّه هو يعني خلق ازدواجية السّلطة. إنّه يعني قيام صراع على السّلطة بين الكيومينتانغ والمجالس.

إنّ تأليف مجالس العمال والفلاحين هو تحضير الانتقال من الثورة الديمقراطيّة البرجوازية إلى الثورة العالّية، إلى الثورة الاشتراكية. هل يمكن أن يتم مثل ذلك التحضير في ظل قيادة **حزبين** ينتميان إلى حزب ديمقراطي ثوري مشترك؟ كلاً، ذلك غير ممكن. يعلّمنا تاريخ الثورة أنّه لا يمكن أن يتمّ التحضير لدكتاتورية الطبقة العالّية والانتقال إلى الثورة الاشتراكية إلا بقيادة حزب **واحد** هو الحزب الشيوعي، إذا كما تتحدّث، بطبيعة الحال، عن ثورة عالّية حقيقية. يعلّمنا تاريخ

الثورة أنه لا يمكن انجاز دكتاتورية الطبقة العاليتة وتطويرها إلا بقيادة حزب واحد هو الحزب الشيوعي، وإذا لم يكن ذلك كذلك، فلا يمكن أن يكون هنالك دكتاتورية عاليتة حقيقية وكاملة للطبقة العاليتة في الظروف الإمبريالية. يترتب على ذلك، أنه لا فقط عندما تكون هنالك دكتاتورية الطبقة العاليتة، بل حتى قبل مثل تلك الدكتاتوريتة، حين يتم تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين، سوف يضطر الحزب الشيوعي إلى الانسحاب من الكيومينتانغ لإجراء الاستعدادات لأكتوبر صيني تحت قيادته الحصرية الخاصة. أعتقد أنه في فترة تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين في الصين، والتحضير لأكتوبر الصيني، سوف يتوجب على الحزب الشيوعي الصيني أن يستبدل التكتل الحالي داخل الكيومينتانغ بتكتل خارجه، أقول، من قبيل التكتل الذي كان لنا مع يسار الاشتراكيين الثوريين في فترة الانتقال إلى أكتوبر.

السؤال 4 «هل حكومة ووهان هي دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية، وإذا لم يكن ذلك كذلك، فما هي طرق التصل الأخرى لإقامة الدكتاتورية الديمقراطية؟ وهل مارتينوف على صواب عندما يؤكد بأن الانتقال إلى دكتاتورية الطبقة العاليتة ممكن دون ثورة «ثائتة»، وإذا كان ذلك كذلك، أين هو الخط الفاصل بين الدكتاتورية الديمقراطية والدكتاتورية العاليتة والصين؟»

لم تصبح حكومة ووهان دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية بعد. قد تصبح كذلك. وستصبح بالتأكيد دكتاتورية ديمقراطية إذا ما تطورت الثورة الزراعية على نحو كامل. لكنها لم تصبح جهاز دكتاتورية من هذا القبيل بعد. ماذا يلزم لتحويل حكومة ووهان إلى جهاز لدكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية؟ يلزم أمران لذلك على الأقل: أولاً، يجب أن تصبح حكومة ووهان حكومة ثورة زراعية-فلاحية في الصين، حكومة تقدم أكبر سند لهذه الثورة؛

ثانياً، يجب على الكيومينتانغ أن يحدّد قيادته العليا بقيادة جدد من الحركة الزراعيّة من بين صفوف الفلاحين والعمال وأن يوسّع منظّماته الدّنيا بأن يدمج فيها جمعيات الفلاحين ومجالس نقابات العمال والمنظّمات الثّوريّة الأخرى في المدينة والزّريف. في الوقت الحالي، لدى الكيومينتانغ ما يناهز 500 ألف عضو. وهذا عدد ضئيل، ضئيل على نحو رهيب بالنّسبة للصّين.

يجب على الكيومينتانغ أن يضمّ الملايين من الفلاحين والعمال الثّوريين، وبالتالي يجب عليه أن يصبح منظّمة ديمقراطيّة ثوريّة عظيمة من ملايين كثيرة. فقط في ظلّ هذه الظروف سيصبح الكيومينتانغ في وضع يمكنه من تأليف حكومة ثوريّة والتي ستصبح حماز دكتاتوريّة العمال والفلاحين الديمقراطيّة الثّوريّة. لا علم لي إن كان الرفيق مارتينوف قد تحدّث حاليّاً عن الانتقال السّلمي إلى دكتاتوريّة الطبقة العماليّة. أنا لم أقرأ مقال الرفيق مارتينوف، أنا لم أقرأه لأنّه من غير الممكن لي أن أنظر في كلّ ما لدينا من أدب اليوم تلو اليوم. لكن إذا كان قد قال فعلاً بإمكانية الانتقال السّلمي من الثّورة الديمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثّورة العماليّة في الصّين، فذلك خطأ.

طلب شوغينوف متّي ذات مرّة: «ما رأيك يا رفيق ستالين. أئن يكون من الممكن ترتيب الأمور من خلال الكيومينتانغ فممرّ دفعة واحدة إلى دكتاتوريّة الطبقة العماليّة بالوسائل السّلميّة؟» وأنا بدوري سألته: «وما الذي يعجبك يا رفيق شوغينوف في الصّين، هل هو يمين الكيومينتانغ والبرجوازيّة الرّأسماليّة والإمبرياليّة؟» فأجاب: «حسنًا. وبعد». قلت: «لا مفرّ من الصّراع.» كان ذلك قبل انقلاب تشانغ كاي-تشيك. بطبيعة الحال، يمكن نظريّاً، تصوّر إمكانية تطوّر سلمي للثّورة في الصّين. ولبنين، على سبيل المثال، في إحدى المناسبات، رأى أنّ التطوّر السّلمي للثّورة في روسيا ممكناً من خلال الشّوفيّيات. وكان ذلك في الفترة الممتدّة من نيسان إلى آب 1917. ولكن بعد هزيمة آب أقرّ لينين بأنّ الانتقال السّلمي للثّورة العماليّة قد أصبح غير وارد على الإطلاق. وأعتقد أنّه يجب أن نعتبر الانتقال السّلمي للثّورة العماليّة في الصّين أمراً غير وارد أكثر بكثير. لماذا؟

أولا، لأن أعداء الثورة الصينية، على الصعيدين الداخلي (تشانغ تسو، لين، تشانغ كاي-تشيك، البرجوازية الكبيرة، النبلاء، المالكون العقاريون...) والخارجي (الإمبرياليون)، أكثر عددا وأكثر قوة بحيث لا يسمح ذلك بالتفكير في أن تتطور الثورة وأن تضي إلى الأمام دون معارك كبيرة ودون اقسامات وخيانات خطيرة؛ وثانيا، لأنه لا يوجد سبب حتى نعتبر الكيومينتانغ الشكل التنظيمي للدولة اللازم للانتقال من الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى الثورة العمالية؛

وأخيرا، لأنه إذا كان، على سبيل المثال، في روسيا لم ينجح الانتقال السلمي إلى الثورة العمالية من خلال السوفييات، التي هي نموذج كلاسيكي للثورة العمالية، فما هو الأساس هنا حتى نفترض أن هذا التحول يمكن أن ينجح من خلال الكيومينتانغ؟

لذا، أعتقد أنه يجب أن نعتبر الانتقال السلمي إلى الثورة العمالية غير وارد في الصين.

السؤال 5 «لماذا لم تهاجم حكومة ووهان تشانغ كاي-تشيك، في حين أنها تسدّد الضربات لتشانغ تسو لين؟

ألا يجعل تزامن الهجمتين على الشمال من جانب حكومة ووهان ومن جانب تشانغ كاي جبهة التضال ضد البرجوازية الصينية أمرا غامضا؟»

حسنا، أيها الرفاق. أتم تطلبون الكثير من حكومة ووهان. بطبيعة الحال، سيكون من الدقيق جدًا، التغلب على تشانغ تسو لين وتشانغ كاي-تشيك ولي تشي شين والسناتور يانغ في وقت واحد. لكن وضع حكومة ووهان الحالي لا يسمح لها بشنّ الهجوم على جميع الجبهات الأربع في وقت واحد. تعهدت حكومة ووهان بالهجوم ضدّ المؤكدين لسببين على الأقلّ:

أولا، لأنّ المؤكدين يتقدّمون نحو ووهان ويريدون القضاء عليها. وبالتالي كان الهجوم عليهم تديرا دفاعيًا عاجلا للغاية؛

وثانياً، لأنّ أهالي ووهان يرغبون في الانضمام إلى قوّات فينغ يو زيانغ والمضي قدماً من أجل توسيع قاعدة الثّورة، التي، مرّة أخرى، هي قضية ذات أهميّة عسكريّة وسياسيّة قصوى لمدينة ووهان في الوقت الحاضر.

إنّ الهجوم في وقت واحد على جبهتين هامّتين مثل جبهتي تشانغ كاي-تشيك، وتشانغ تسولين، هو في الوقت الحالي أكبر من طاقة حكومة ووهان. فهي أبعد من تهاجم سين يانغ غرباً وتهاجم لي تشي شين جنوباً.

كما، نحن البلاشفة، أقوىاء زمن الحرب الأهليّة. ولم نتمكن، إلى الآن، من تطوير عمليات هجومية ناجحة على كلّ الجبهات. فهل من سبب يجعلنا نتوقّع أكثر من ذلك من حكومة ووهان في الوقت الحاضر؟

وفضلاً عن ذلك، ماذا يعني الهجوم على شنغهاي الآن في الوقت الذي يتقدّم فيه الموكدون وأنصار ووي فو نحو ووهان من الشّمال؟

يعني ذلك جعل الأمور أسهل بالنّسبة للموكدين وتأجيل الاتحاد مع قوّات فينغ لأجل غير مستويّ، دون الحصول على أي شيء في شرق البلاد. في الوقت الحاضر، فلنترك تشانغ كاي-تشيك يتقدّم متعتّراً في منطقة شنغهاي ويسامر الإمبرياليتين هناك.

ستكون هناك معارك في شنغهاي، ولكنّها لن تكون من قبيل ما يجري الآن في شانغشو وغيرها.

لا. المعارك المقبلة هناك ستكون أكثر خطورة بكثير. والإمبريالية لن تتخلّى بسهولة عن شنغهاي؛ فهي مركز العالم ونقطة تقاطع المصالح الأساسيّة للمجموعات الإمبريالية.

ألن يكون من الأنسب الانضمام إلى قوّات فينغ، وكسب قوّة عسكريّة كافية، وتطوير الثّورة الزراعيّة على نحو كامل، والاستمرار في العمل المكثّف لإحباط قوّات تشانغ كاي-تشيك في المؤخّرة وفي الجبهة، ثم بعد ذلك، نعالج مشكل شنغهاي برمته؟ أعتقد أنّ ذلك سيكون أنسب.

وبالتالي، فليس في الأمر ما يمكن أن «يطمس» جبهة التضال ضدّ البرجوازية الصينية، لأنه لا يمكن أن يكون ذلك إذا ما تطوّرت الثورة الزراعية، وهي تتطور وستستمر في التطور. وما من شكّ الآن في ذلك. وأكرر، ليس الأمر قضية «طمس»، وإنما قضية تطوير تكتيكات القتال المناسبة.

يعتقد بعض الرفاق أن هجوما على جميع الجبهات الآن هو علامة رئيسية على الروح الثورية. كلا، أيها الرفاق. هذا ليس صحيحا. لن يكون الهجوم على جميع الجبهات في هذه اللحظة إلا غباء، وليس دليلا على الروح الثورية. لا يجب الخلط بين الغباء الروح الثورية.

السؤال 6 «هل ثورة كماليتة أمر ممكن في الصين؟»

أرى أنّ ذلك غير محتمل في الصين، وبالتالي مستحيل. الثورة الكماليتية أمر غير ممكن إلا في بلدان من قبيل تركيا وبلاد فارس وأفغانستان، حيث لا توجد فيها طبقة عمالية صناعية أو هي كذلك عمليا، وحيث لا توجد فيها ثورة زراعية-فلاحية عظيمة.

الثورة الكماليتية هي ثورة الشريحة العليا؛ ثورة البرجوازية التجارية الوطنية، التي نشأت في الصراع ضدّ الإمبريالية الأجنبية، والتي وُجّه تطورها اللاحق، أساسا، ضدّ الفلاحين والعمال؛ ضدّ إمكانية قيام ثورة زراعية.

الثورة الكماليتية أمر مستحيل في الصين للأسباب التالية:

(أ) يوجد في الصين حدّ أدنى معيّن من طبقة عمالية صناعية قوية ونشيطة وتحظى بهيبة كبيرة بين الفلاحين؛

(ب) توجد في هذا البلد ثورة زراعية متطورة يكتس تقدّمها بقايا الإقطاع. إنّ حركة الفلاحين الواسعة التي حجزت الأراضي فعلا في بعض المحافظات وتشهد فضال الطبقة العاليتة الثورية في الصين إنّما هي ترياق ضدّ احتمال ما يسمّى بالثورة الكماليتية.

لا يمكن للحزب الكمالي أن يوضع على قدم المساواة مع حزب يسار الكيومينتانغ في ووهان، تماما كما لا يمكن أن توضع تركيا على قدم المساواة مع الصين. تركيا ليس لديها مراكز مثل شنغهاي ووهان وناكين، تيانسين، وغيرها. أنقرة أبعد من ووهان بكثير، كما أن الحزب الكمالي أبعد من يسار الكيومينتانغ بكثير. يجب على المرء أيضا أن يأخذ بعين الاعتبار الفرق بين الصين وتركيا من جهة أهميتها الدولية.

بالنسبة إلى تركيا، حقت فيها الإمبريالية، فعلا، عددا من مطالبها الرئيسية؛ انتزعت منها سوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين وغيرها من النقاط ذات الأهمية بالنسبة للإمبريالية. وأضحت تركيا الآن بلدا صغيرا يتراوح تعداد سكانه بين عشرة واثني عشرة مليون نسمة. ولا تمثل بالنسبة للإمبريالية سوقا ذا أهمية أو حقا حاسم للاستثمار. وأحد الأسباب التي صادفت ذلك هو أنّ تركيا القديمة كانت تجمع قوميات إلى جانب السكان الأتراك المجمعين في الأناضول حصرا.

ليس الأمر كذلك في الصين. الصين بلد مجمع وطنيا، ويبلغ عدد سكانها بضع مئات من ملايين، وتمثل أحد أهم الأسواق ومجالات تصدير رأس المال في العالم. ففي حين تكفي الإمبريالية في تركيا بأن تقطع منها عدد من المناطق الهامة جدا في الشرق، وتستغلّ التناقضات القومية بين الأتراك والعرب في تركيا القديمة. فإنها تضرب جسد الصين الوطني الحي، وتقطع أوصاله، وتقطع كلّ محافظة منه، من أجل الحفاظ على مواقعها القديمة، أو على الأقل الإبقاء على البعض منها.

لذا، ففي حين أوقف الكماليون التضال ضدّ الإمبريالية في تركيا عند ثورة معادية للإمبريالية غير ناجزة، فإنّ التضال ضدّ الإمبريالية في الصين له طابع شعبي عميق ووطني مميّز وقابل لأن يتعمق فيه تطوّر الصراع مع الإمبريالية خطوة تلو الخطوة؛ إنّه نضال يهزّ أسس الإمبريالية في جميع أنحاء العالم.

أحد أخطر أخطاء المعارضة (زينوفيف، راديك، تروتسكي) هو الفشل في إدراك هذا الاختلاف العميق بين تركيا والصين، والخلط بين الثورة الكمالية والثورة الزراعية، وجمع كلّ شيء في سلّة واحدة دون تمييز.

أعلم أنّ من بين الوطنيّين الصّينيّين أشخاص يفتخرون بالأفكار الكباليّة، ويزعمون صراحة أنّ لكمال دور في الصّين اليوم.

وزعيم أولئك الأشخاص هو تشانغ كاي-تشيك. وأعلم أنّ بعض الصحفيّين اليابانيّين يميلون إلى اعتبار تشانغ كاي-تشيك كمال الصّين. لكن كلّ ذلك حلم، إنّه وهم البرجوازي الخائف. يجب أن يذهب الانتصار في الصّين إمّا إلى موسيليني الصّين من رهط تشانغ تسولين وتشانغ تسونغ-تشانغ، الذين هم من ستطیح بهم موجة الثّورة الزراعيّة في وقت لاحق، وإمّا إلى ووهان. لا بدّ، حتّمًا، لتشانغ كاي-تشيك وأتباعه، الذين يحاولون اتّخاذ موقف وسطي بين هذين المعسكرين، أن يستقوا وأن تقاسموا مصير تشانغ تسولين وتشانغ تسونغ-تشانغ.

7 السّؤال «هل يجب رفع شعار الحجز المباشر للأرض من قبل الفلاحين في الصّين في الوقت الحالي. وكيف يجب إجراء حجز الأراضي في هونان؟»

أعتقد أنّ علينا أن نرفع ذلك الشّعار. ففي الواقع، ما يجري تنفيذه بالفعل في مناطق معيّنة هو شعار مصادرة الأرض. ففي عدد من المناطق، مثل هونان وغيرها، قد قام الفلاحون فعلاً بحجز الأرض من الأسفل، وهم يؤلّفون محاكم خاصّة بهم وأجهزة تأديبيّة خاصّة بهم ولجان دفاعهم الدّاتي الخاصّة بهم. وأعتقد أنّه في المستقبل القريب جدًّا سيذهب كلّ الفلاحين في الصّين إلى أبعد من شعار مصادرة الأرض. هنا تكمن قوّة الثّورة الصّينيّة.

إذا ما أرادت ووهان أن تفوز وإذا ما كانت تريد أن تخلق قوّة حقيقيّة ضدّ تشانغ تسولين وتشانغ كاي-تشيك وكذلك ضدّ الإمبرياليّة، على حدّ سواء، فلا بدّ لها من تقدّم أقصى الدّعم للثّورة الزراعيّة-الفلاحيّة في مصادرة أراضي المالكين العقاريّين.

سيكون من الحماقة أن نعتقد أن من الممكن الإطاحة بالإقطاع والإمبريالية في الصين بالصراع المسلح لوحده. فبدون ثورة زراعية، وبدون أن تدعم جهاير الفلاحين والعمال جيش ووهان دعماً نشيطاً، لا يمكن أن نطرح بتلك القوت. غالباً ما تقدّر المعارضة انقلاب تشانغ كاي-تشيك على أنه انحسار في الثورة الصينية. هذا خطأ. إنّ الذين يقدرّون انقلاب تشانغ كاي-تشيك على أنه انحسار في الثورة الصينية هم في الواقع ينحازون إلى تشانغ كاي-تشيك، وهم في الواقع ينحازون إلى قبول تشان كاي-تشيك إلى كيومينتانغ ووهان مرّة أخرى. فهم يعتقدون، على ما يبدو، أنّه لو أنّ تشانغ كاي-تشيك لم يذهب بعيداً في انفصاله لسارت الثورة على نحو أفضل. إنّ ذلك لمن الحماقة ومن غير الثورية.

لقد أدّى انقلاب تشانغ كاي-تشيك، في واقع الأمر، إلى أن يشرع الكيومينتانغ في تطهير مركزه من الورم والتوجّه نحو اليسار. بالطبع، كان لا بدّ لانقلاب تشانغ كاي-تشيك من أن يسفر عن هزيمة جزئية للعمال في عدد من المناطق. لكن ذلك لم يزد عن كونه هزيمة جزئية ومؤقتة. في الواقع، مع انقلاب تشانغ كاي-تشيك، دخلت الثورة بمجملها مرحلة من التطوّر أعلى؛ مرحلة حركة زراعية. هنا تكمن قوّة الثورة الصينية وعظمتها.

يجب أن لا نرى تقدّم الثورة تقدّماً في خط تصاعدي متواصل. فذلك منحي مدرسي، وليس فهماً واقعياً للثورة. فالثورة تتحرّك دوماً بالتواءات؛ نهوض وتحطيم للنظام القديم في بعض المناطق، وتكبّد هزائم جزئية وتراجع في مناطق أخرى. انقلاب تشانغ كاي-تشيك هو أحد تلك الالتواءات في مسار الثورة الصينية، واحدة أن هناك حاجة من أجل تطهير الثورة من التفاهة، ويدفعنا إلى الأمام في اتجاه حركة زراعية قوية.

لكن حتّى تكون هذه الحركة الزراعية قادرة على تكوين طابعها وجب أن يكون لها شعارها العام. هذا الشعار هو مصادرة أراضي المالكين العقاريين.

السؤال 8 «لماذا من غير الصحيح إعلان شعار تأليف المجالس في الوقت الحاضر؟

ألا يعرض الحزب الشيوعي الصيني نفسه لخطر السير وراء الحركة في حال تأليف مجالس العمال في هونان؟»

إلى أي نوع من المجالس يرمي هذا السؤال؛ هل يرمي إلى المجالس العمالية، أم إلى المجالس غير العمالية، مجالس «الفلاحين»، مجالس «الشغيلة»، مجالس «الشعب»؟ لقد تحدّث لينين في أطروحته³ إلى المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني عن تأليف «مجالس الشغيلة» و«مجالس الفلاحين» في البلدان الشرق المتخلّفة. وكان يفكّر في بلدان من قبيل آسيا الوسطى، حيث «لا توجد طبقة عمالية صناعية، أو تقريبا هي كذلك عمليا». كان يفكّر في بلدان من قبيل بلاد فارس، أفغانستان، وما إلى ذلك. وذلك ما يفسّر، في الواقع، لماذا لم تكن في أطروحات لينين ولو كلمة واحدة تتعلّق تنظيم مجالس العمال في مثل تلك البلدان.

لكن يتضح من ذلك أنّ ما تحدّثت عنه أطروحات لينين لم يكن بهمّ الصين التي لا يمكن أن يقال عنها أنّها لا تمتلك «طبقة عمالية صناعية، أو تقريبا هي كذلك عمليا»، وإتّاه بهمّ بلدانا أخرى من الشرق أكثر تخلفا.

وبالتالي، فيما يتعلّق الأمر إذا كانت القضية هي تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين فورا في الصين. وبالتالي، عندما تتخذ قرارا في هذه القضية لا يجب أن نستحضر أطروحات لينين وإتّاه أطروحات روي⁴ التي أقرّها المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني نفسه، والتي تتحدّث عن تأليف مجالس العمال والفلاحين في بلدان من قبيل الصين والهند. لكن تلك الأطروحات تتحدّث عن كيف أنّ تأليف مجالس

³ لينين: أطروحات في القضيتين القومية والاستعمارية، ترجمتها، منشور في موقعنا: طريق البلشفية.

⁴ أنظر: المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني: أطروحات إضافية، ترجمتها، منشور في موقعنا: طريق البلشفية.

العمال والفلاحين في تلك البلدان يجب أن يكون عند الانتقال من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة العمالية.

ما هي مجالس نواب العمال والفلاحين؟

مجالس نواب العمال والفلاحين هي، في المقام الأول، أجهزة الانتفاض على السلطة القائمة، أجهزة نضال في سبيل سلطة ثورية جديدة، أجهزة السلطة الثورية الجديدة. وهي، في ذات الوقت، مراكز تنظيم الثورة.

لكن لا يمكن أن تكون مجالس نواب العمال والفلاحين مراكز تنظيم الثورة إلا إذا كانت أجهزة لإسقاط السلطة القائمة وإذا كانت أجهزة للسلطة الثورية الجديدة. فإن لم تكن أجهزة للسلطة الثورية الجديدة، فلا يمكنها أن تكون مراكز لتنظيم الحركة الثورية. وهذا ما ترفضه المعارضة فهمه وإذا بها تحارب المفهوم اللينيني لمجالس نواب العمال والفلاحين.

ماذا يعني تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين في الوقت الحاضر في مجال من مجالات العمل، لنقل، حكومة ووهان؟ يعني ذلك خلق ازدواجية السلطة، وإنشاء أجهزة تمرد على حكومة ووهان. هل يجب على الشيوعيين الصينيين الإطاحة بحكومة ووهان في الوقت الحالي؟ من الواضح أن لا. على العكس من ذلك، يجب أن يعتمدوا عليها ويحولوها إلى جهاز كفاح ضد تشانغ تسولين، ضد تشانغ كاي-تشيك، ضد المالكين العقاريين والنبلاء، ضد الإمبريالية.

لكن إذا كان لا يجب على الحزب الشيوعي في الوقت الحاضر أن يطيح بحكومة ووهان، فما الذي يعنيه تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين الآن؟

أحد أمرين:

إما تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين فوراً من أجل إسقاط حكومة ووهان، وهو أمر غير صحيح وغير مقبول في الوقت الحاضر؛ أو تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين فوراً دون أن يعمل الشيوعيون على الإطاحة بحكومة ووهان، ودون أن تصبح المجالس أجهزة سلطة ثورية جديدة، وفي هذه الحالة سوف تنطفيء المجالس وتصبح مدعاة للسخرية.

وذلك ما كان يحدّر منه لينين دوما عندما كان يتحدث عن تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين.

يقول «سؤالكم» أنّ مجالس عماليّة يجري تأليفها في هونان، وأنّ الحزب الشيوعي مهّد بخطير السير وراء الحركة إذا لم يتوجّه إلى الجماهير بشعار تأليف المجالس. هذا هراء، أيّها الزّفاق. لا توجد مجالس نواب العمال في هونان في الوقت الحالي. تلك إشاعة نشرتّها الصحافة البريطانيّة. ما لدينا هنالك هم «الزّماة الحمر»⁵؛ هنالك جمعيّات الفلاحين، لكن ليس هنالك ولو شيء واحد يشير إلى مجالس نواب العمال. يمكن، بطبيعة الحال، تأليف مجالس العمال. فتلك ليست قضية صعبة للغاية. لكن المشكل ليس تأليف مجالس العمال؛ بل المشكل هو تحويلها إلى أجهزة سلطة ثورية جديدة. فإذا ما تعدّرت ذلك، تصبح السوفييتات أمرا فارغا ومدعاة للسخرية. سوف لن يكون تأليف مجالس العمال قبل الأوان إلّا حملها إلى الانهيار، وتحويلها إلى أمر فارغ؛ يعني في الواقع المساعدة على تحويل الحزب الشيوعي الصيني من زعيم الثّورة الديمقراطيّة البرجوازيّة إلى ذيل لجميع أنواع مجرّي المجالس من «أقصى اليسار».

كروستاليوف، وهو أول رئيس لمجلس نواب العمال في سان بطرسبرغ عام 1905، استعجل كذلك ترميم، وبالتالي، تأليف مجلس نواب العمال في صيف عام 1906، معتبرا أنّ المجالس في حدّ ذاتها تستطيع أن تعكس ميزان القوى الطبقيّة، بصرف النظر عن الوضع. ولقد عارض لينين، في ذلك الوقت، كروستاليوف، وقال، في صيف عام 1906، أنّه لا يجب تأليف مجالس نواب العمال بعد ذلك، طالما أنّ المؤخّرة (الفلاحين) لم تلتحق بعدُ بالطليعة (الطبقة العماليّة)، وبالتالي سيكون

⁵ فرق مسلّحة ألّفها الفلاحون الصينيون للدّفاع الدّائي ضدّ الاضطهاد الذي يمارسه المالكون العقاريّون والعسكريّون. قدّمت هذه الفرق المسلّحة سندا حقيقيّا للجيش الوطني الثّوري خلال سنوات 1925-1927 من الثّورة الصينيّة.

تأليف المجالس في ظل تلك الظروف، وكذلك إعلان شعار الانتفاضة محفوفًا بالمخاطر وغير مناسب.

لكن نستنتج من هذا، أولاً، أنه لا يجب أن نبالغ في دور المجالس في حد ذاتها. وثانياً، لا يجب أن نتجاهل الظروف المحيطة عند تأليف مجالس تواب العمال والفلاحين.

هل من الضروري تأليف مجالس تواب العمال والفلاحين في كلِّ الصين؟ نعم. لقد ذلك ضروري. سيكون من الضروري تأليفها عندما تكون الحكومة الثورية في ووهان قد قويت والثورة الزراعية قد تطوّرت، إنّه وقت الانتقال من الثورة الزراعية، من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة العمالية. سوف يعني تأليف مجالس تواب العمال والفلاحين إرساء أسس السلطة السوفيتية في الصين. ولكن إرساء أسس السلطة السوفيتية سوف يعني إرساء أسس ازدواجية السلطة وتوجيه المسار نحو استبدال السلطة الحالية لكيومينتانغ ووهان بالسلطة السوفيتية.

واعتقد أن الوقت لم يحن بعدُ لذلك.

يتحدّث «سؤالكم» عن هيمنة الطبقة العمالية والحزب الشيوعي في الصين. لكن ما المطلوب من أجل تسهيل دور الطبقة العمالية الصينية كقائد والهيمنة في الثورة الديمقراطية البرجوازية الحالية؟

هذا يتطلب، أولاً، أن على الحزب الشيوعي الصيني أن يكون منظمة قوية الاتحاد للطبقة العمالية، له برنامجها الخاص، أرضيته الخاصة، تنظيمها الخاص، وخطها الخاص.

وهذا يتطلب، ثانياً، أن على الشيوعيين الصينيين أن يكونوا في الصفوف الأمامية للحركة الزراعية-الفلاحية، وأن يعلموا الفلاحين، وبالأخص الفلاحين الفقراء، التنظيم في جمعيات ولجان ثورية والعمل على مصادرة أراضي المالكين العقاريين. وهذا يتطلب، ثالثاً، أن على الشيوعيين الصينيين أن يقوّوا موقعهم في الجيش، وأن يثوروه، وأن يحولوه من أداة للمغامرة الفردية إلى أداة للثورة.

وهذا يتطلب، أخيراً، أن على الشيوعيين الصينيين أن يشاركوا في أجهزة حكومة ووهان المحلية والمركزية، وفي أجهزة كيومينتانغ ووهان المحلية والمركزية، وأن ينتهجوا فيها سياسة حازمة لتوسيع لاحق للتورة ضد المالكين العقاريين والإمبريالية على حد سواء.

ترى المعارضة أنّ على الحزب الشيوعي أن يحافظ على استقلاله وأن يقطع علاقاته بالقوى الديمقراطية الثورية بأن ينسحب من الكيومينتانغ ومن الحكومة في ووهان. لكن ذلك سيكون نوعاً من «الاستقلال» مشكوك فيه من قبيل ذلك الذي تحدّث عنه المناشفة في بلدنا عام 1905. ونعلم أنّ المناشفة قد عارضوا لينين في ذلك الوقت قائلين: «ما نحتاجه ليس الهيمنة، بل استقلال حزب العمال». لقد كان لينين على صواب عندما رأى في ذلك إنكار للاستقلال، ومعارضة الاستقلال بالهيمنة وأنّ ذلك يعني تحويل الطبقة العاملة إلى ذيل للبرجوازية الليبرالية.

أعتقد أنّ المعارضة، وهي تتحدّث اليوم عن استقلالية الحزب الشيوعي الصيني وتستعجل أو تشير إلى ضرورة انسحاب الحزب الشيوعي الصيني من الكيومينتانغ ومن حكومة ووهان، إنّما هي تنزلق إلى الخطّ المناشفة المدافع عن «الاستقلالية» في فترة 1905. فلا يستطيع الحزب الشيوعي أن يحافظ على استقلالية حقيقية وعن هيمنة حقيقية إلا أصبح القوة القائدة داخل الكيومينتانغ وخارجه على حدّ سواء وفي صفوف الجماهير الشغيلة الواسعة.

لا ننسحب من الكيومينتانغ بل لنضمن القيادة للحزب الشيوعي داخل الكيومينتانغ وخارجه على حدّ سواء - ذلك ما هو مطلوب من الحزب الشيوعي الصيني إذا أراد حقاً أن يكون مستقلاً.

السؤال 9 «هل من الممكن أن نطرح قضية تأليف جيش أحمر نظامي في الصين في الوقت الحالي؟»

أعتقد أنه يمكن أن نفكر في هذه القضية من جهة الأفق. أما إذا تناولناها من الناحية العملية، فمن غير ممكن الآن، في هذا الوقت، أن نستبدل الجيش الحالي بجيش جديد، بجيش أحمر، لسبب بسيط هو أنه ليس هنالك بما نستبدله.

الأمر الأساسي الآن، وبينما يجري تحسين الجيش الحالي وتشويره بجميع الوسائل المتاحة، هو وضع أسس الجديد، فرقا وأفواجا، متكوّنة من الفلاحين الثوريين من بين الذين مرّوا بمدرسة الثورة الزراعية ومن العمال الثوريين، قصد تأليف عدد من الفرق العسكرية الجديدة والموثوق بها حقًا وقادة يمكن الاعتماد عليهم لتكون درعا للحكومة الثورية في ووهان.

تلك الفرق هي نواة الجيش الجديد الذي سوف يتطور لاحقا إلى جيش أحمر. إنّ ذلك ضروري، على حد سواء، للتضال في الجبهة، وخصوصا للتضال في المؤخرة ضدّ جميع أنواع عناصر الثورة المضادة التي ستنتصب.

بدون ذلك، لا يمكن أن يكون هنالك أيّة ضمانة ضدّ الانقلاب في المؤخرة وفي الجبهة وضدّ الانسحاب والخيانة.

وأعتقد أن هذا المسار هو الوحيد الممكن والملائم في الوقت الحاضر.

السؤال 10 «هل شعار مصادرة الشركات الصينية أمر ممكن الآن، في الوقت الذي يقوم فيه التضال ضدّ البرجوازية؟ وفي أيّة ظروف تكون مصادرة المصانع الأجنبية في الصين أمرا ممكنا، وماذا سيترتب على مصادرة الشركات الصينية في ذات الوقت؟»

أعتقد، عموما، أنه لم يحن الوقت بعدّ للمرور إلى مصادرة الشركات الصينية. لكن لا نستبعد احتمال أن يقوم أرباب العمل الصينيون بتخريب عنيد وبإغلاق عدد من هذه المؤسسات وخلق بطالة اصطناعية قد تجبر حكومة ووهان على الشروع في تأميم بعض من هذه الشركات حتى في الوقت الحاضر، وتجعلها تسيّر نفسها ذاتيا.

فمن الممكن أن تجبر حكومة ووهان حتى في الوقت الراهن على اتخاذ مثل هذه الخطوة في حالات مفردة وذلك بمثابة تحذير لأرباب العمل الصينيين خاصة الحاقدين منهم على الثورة ومعارضين لها.

أما بالنسبة للشركات الأجنبية، فتأميمها قضية مستقبلية. فتأميمها هو بمثابة إعلان الحرب مباشرة على الإمبريالية. لكن لنعلن مثل هذه الحرب فذلك يتطلب ظروفًا مختلفة بعض الشيء، ظروفًا ملائمة أكثر مما هو موجود في الوقت الحاضر. أعتقد أنه في المرحلة الحالية من الثورة، وطالما لم نكتسب حتى الآن القوة الكافية، فإن مثل هذا الإجراء سابق لأوانه ولذلك فهو غير مناسب.

لا تتلخص المهمة الآن في ذلك، وإنما في تأجيج نيران الثورة الزراعية إلى أقصى درجة ممكنة، لضمان هيمنة الطبقة العاملة في هذه الثورة، وتقوية ووهان وتحويلها إلى مركز التضال ضدّ كل أعداء الثورة الصينية.

يجب على المرء أن لا تحمل كافة المهام في آن واحد وإلا خاطر بانهاره تحت الوطأة. وبالأخص، وطالما أنّ الكيومينتانغ وحكومته غير مهتآن لإنجاز مهمات أساسية من قبيل مصادرة أملاك البرجوازيّين الصينيّة والأجنبيّة. يتطلب إنجاز هذه المهام وضعًا مختلفًا ومرحلة مختلفة من الثورة وأجهزة مختلفة من السلطة الثورية.

صدر لأول مرّة في:

ستالين: الثورة في الصين وأخطاء المعارضة، موسكو، لينينغراد، 1927.

